

1- مفهوم الرؤيا :

ظل مفهوم الرؤيا زمنا طويلا مكتنفا بالغموض و الالتباس لذا تناولته أقلام الباحثين بالدراسة و التحليل ، فحمل بالعديد من الدلالات ، التي قد تقترب من بعضها أحيانا ، وقد تبتعد أحيانا أخرى .

فإذا بحثنا عنه في المعاجم العربية ، فإننا نجدها تتفق غالبا على دلالاته اللغوية ، مع تبيان الفرق بينه و بين مصطلح " الرؤية " ، فابن منظور (ت : 711 هـ) في لسان العرب يعرف الرؤيا على أنها ما يراه الإنسان في منامه ، و جمعها رؤى و تعني الأحلام ، و هي مميزة بالألف في آخرها عن الرؤية التي تعني الإبصار في حالة اليقظة ، يقال رأيت بعيني رؤية ، ورأيت رأيت العين ، أي حيث يقع البصر عليه¹ .

وجاء في معجم أساس البلاغة للزمخشري (ت : 538 هـ) : " رأيت بعيني رؤية ، ورأيت في المنام رؤيا"² .

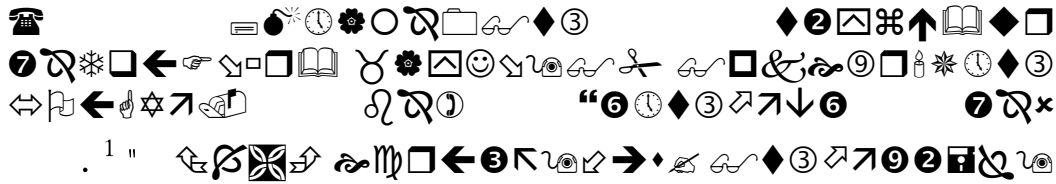
كما نجد هذا التمييز في المعاجم الحديثة ففي المعجم الفلسفي لإبراهيم مذكور عرفت الرؤية على أنها : " فعل الحس البصري و تطلق الرؤيا على الإدراك لما هو روحاني و منه الوحي و الإلهام و تلتقي بهذا مع الحلم "³ .

أي أن الرؤيا غير الرؤية ، إذ تقع الأولى في المنام ، و هي رديفة الحلم ، و تقع الثانية في اليقظة ، وهي رديفة الإبصار .


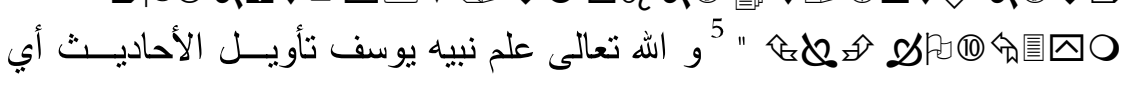

كما نجد هذا التمييز في النحو العربي ، فكل من الرؤيا و الرؤية مشتق من الفعل رأى ، فإذا كان يفيد الرؤيا في المنام و يعبر عنها بـ :

¹ ينظر : أبو الفضل جمال الدين ابن منظور : لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1997 ، م3 ، ص 10
² أبو قاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري : أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1998 ، ج1 ، ص 326
³ إبراهيم مذكور : المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ، 1913 ، ص 90 .

"رأى الحلمية"، فينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ و خبرا ، نحو : "  "                                    



جاء في مختصر تفسير الطبري : " الرؤيا بالألف : الحلم و يراد بها
 الرؤيا المنامية ، و بالتاء المربوطة الرؤية بالعين " ² .

وورد ذكر أن رؤيا الأنبياء هي وحي من الله تعالى ³ ، لذلك فهي
 صادقة و محققة ، فسيدنا يوسف عليه السلام حين قص رؤياه على والده يعقوب
 عليه السلام ، وهي أنه رأى أحد عشر كوكبا و الشمس و القمر سجودا له ،
 طلب منه أن لا يقص الرؤيا على أخوته حتى لا يكيدوا له ، ذلك أنه أحس
 من رؤيا ابنه بأنه سيكون له شأن كبير ، بحكم جو النبوة الذي يعيش فيه ،
 فتوقع أن يوسف هو الذي سيختار من أبنائه من نسل إبراهيم عليه السلام ليكون
 نبيا ⁴ ، قال تعالى : " 



تعبير الرؤيا ⁶ ، " 

1 سورة يوسف ، الآية 43

2 أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : مختصر تفسير الطبري ، اختصار وتحقيق محمد بن علي الصابوني ،
 صالح أحمد رضا ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الرغاية ، الجزائر ، ط 2 ، 1987 ، م 3 ، ص 392
 3 ينظر المرجع السابق ، ص 391
 4 ينظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، ، دار الشروق ، بيروت ، ط 10 ، 1982 ، م 4 ، ص 1971
 5 سورة يوسف ، الآية 6
 6 ينظر : الطبري : مختصر تفسير الطبري ، ص 392

﴿...﴾¹ ، لذلك نجده
يؤول رؤيا صاحبي السجن ورؤيا الملك ، فتصدق الرؤى .

و في نهاية السورة تتحقق رؤيا سيدنا يوسف ، بأن خر له أبواه و أخوته
سجودا ، وكان بين الرؤيا وتحققها أربع وأربعون سنة² .

و نجد " الرؤيا " في موضع آخر من القرآن الكريم ، وهي رؤيا
النبي إبراهيم عليه السلام ، قال الله تعالى : ﴿...﴾³
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾³

فالنبي إبراهيم عليه السلام يرى في منامه أنه يذبح ابنه الوحيد إسماعيل،
و هي إشارة من ربه بالتضحية فيستجيب له⁴ .

كما جاء لفظ " الرؤيا " في سورة الفتح ، قال الله تعالى : ﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾
﴿...﴾

1 سورة يوسف ، الآية 21
2 ينظر: الطبري : مختصر تفسير الطبري ، ص 410
3 سورة الصافات ، 102 ، 103 ، 104 ، 105
4 ينظر : سيد قطب : في ظلال القرآن ، م 5 ، ص 2994



و هي رؤيا الرسول صلى الله عليه و سلم فقد رأى في المنام وهو بالمدينة المنورة أنه دخل مكة وأصحابه آمنين ، فلما قص عليهم رؤياه ، استبشروا وقد هالهم ألا تتحقق في عامها ذلك ، فنزلت الآية الكريمة ليؤكد الله تعالى لهم صدق هذه الرؤيا ، و ينبئهم أنها منه ² .

فالرؤيا إذن في القرآن الكريم هي رؤيا الأنبياء و هي وحي من الله تعالى ، لذا فهي محققة دائما .

كما شاع التمييز بين الرؤيا و الرؤية في الفكر العربي المعاصر، يقول أدونيس : " و الفرق بين رؤية الشيء بعين الحس ، ورؤيته بعين القلب ، هو أن الرائي بالرؤية الأولى إذا نظر إلى الشيء الخارجي يراه ثابتا على صورة واحدة لا تتغير ، أما الرائي بالرؤية الثانية فإذا نظر إليه يراه لا يستقر على حال و إنما يتغير مظهره ، و إن بقي جوهره ثابتا " ³ . ، فالفرق عند أدونيس أن الأولى حسية خارجية ثابتة ، أما الثانية فهي قلبية متغيرة غير مستقرة .

أما صلاح فضل فيرى بأن التمييز يتم لغويا بين الرؤية والرؤيا " على اعتبار أن الأولى من فعل في اليقظة ، و الثانية من فعل التخيل في الحلم " ⁴ .

فالمتفق عليه إذن هو أن الرؤيا والرؤية لا يتفان في مدلول واحد فالأولى هي من فعل الخيال وهي مرتبطة بالمنام والحلم أما الثانية فهي من فعل الباصرة و هي مرتبطة بالأشياء المادية المرتبطة بالعين .

1 سورة الفتح ، الآية 27

2 ينظر سيد قطب : في ظلال القرآن ، م 6 ، ص 3369

3 فاتح علاق : مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2005 ، ص 114

4 صلاح فضل : أساليب الشعرية المعاصرة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 1998 ، ص 159

2 - مفهوم الشعرية :

الشعرية مصدر صناعي مشتق من مادة " شعر " ، و هي تدل على العلم والفطنة ، وتطلق على الكلام المخصوص بالوزن والقافية ، يقال شعر الرجل ، أي قال الشعر ¹ .

والشعر منظوم القول وقائله " الشاعر " ، وسمي شاعرا لفظنته ، " وشعر شاعر " أي قال الشعر ، وشعر : أجاد الشعر ² .

والشعرية مصطلح قديم يعود أصله إلى أرسطو في كتابه " أبو طيقا " أي " فن الشعر " أو " في الشعرية " ³ ، وهو في مفهومه العام " قوانين الخطاب الأدبي " ⁴ أو " الوقوف على خصائص أنماط الخطاب الأدبي " ⁵ .

وإذا بحثنا عن الشعرية في التراث النقدي العربي ، فإن تعريف قدامة بن جعفر (ت : 337 هـ) للشعر بأنه " كلام موزون مقفى يدل على معنى " ⁶ هو منطلق الدراسة الشعرية فقد حدد أركان الشعر ، أو خصائصه ، وتتمثل في : اللفظ والمعنى والوزن والقافية ، ثم بدأت الشعرية تتبلور عندما ظهرت قضية عمود الشعر ، وكان أول من أثارها أبو تمام (ت : 231 هـ) الذي خرج عن الشعر القديم و جاء بكل مستبدع طريف ، كما أثارها البحتري (ت : 284 هـ) الذي تمسك بتقاليد العرب في شعرهم ⁷ ، مما دفع بالأمدي (ت : 370 هـ) إلى تأليف كتاب " الموازنة بين شعر أبي تمام و البحتري " محددًا خصائص الشعر

1 ينظر : أحمد مطلوب : في المصطلح النقدي ، منشورات المجمع العلمي ، بغداد 2002 ، ص 151

2 ينظر : ابن منظور : لسان العرب ، م 3 ، ص 442

3 ينظر : حسن ناظم : مفاهيم الشعرية ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1994 ، ص 11

4 المرجع السابق ، ص 5

5 أحمد مطلوب : في المصطلح النقدي ، ص 155

6 أبو الفرج قدامة بن جعفر : نقد الشعر ، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بيروت ،

7 ينظر : عبد الحميد آدم تويني : منهج النقد الأدبي عند العرب ، دار الصفاء للطباعة و النشر الأردن ، 2004 ،

ط 1 ، ص 128 ،

الجيد عنده ، وهي عمود الشعر ، ولكنها لم تبلغ صياغتها النهائية إلا مع المرزوقي (ت : 421 هـ) الذي استفاد من آراء الأمدى ، و كذا القاضي الجرجاني (ت : 392 هـ) في كتابه " الوساطة بين المتبني وخصومه " ، وعمود الشعر عنده : " شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، والإصابة في الوصف - ومن اجتماع هذه الأساليب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال وشوارد الأبيات - والمقارنة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتتأمها على تخير من لذيذ الوزن ، و مناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكله اللفظ للمعنى ، وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما " ¹

غير أن الشعرية لم تتضح كنظرية عامة للأدب إلا مع عبد القاهر الجرجاني (ت : 471 هـ) من خلال نظرية النظم ، التي فسر من خلالها إعجاز القرآن ، فكان ذلك هو الأساس عنده ، ثم أدبية الكلام الفني ، فالنظم عنده مرتبط بالشعر وغير الشعر فهو يعني نظام الكتابة والتأليف والصياغة والنسج والبناء ، مرتكزا على مفاهيم العلاقات والتناسق والاتساق بينها والترتيب ، حيث تذوب الأجزاء لتتجز دلالات متعددة ² ، ف " لا نظم في الكلام ، ولا ترتيب ، حتى يعلق بعضها ببعض ، و يبني بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك " ³ .

فالفصيحة عنده تعود إلى ما في الكلام من علاقات ، وهذا " بأن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، و تعرف

1 أحمد مطلوب : في المصطلح النقدي ، ص 155

2 ينظر : عز الدين المناصرة : علم الشعرية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2007 ، ص 96

3 عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، اعتنى به علي محمد زينو ص 96 ، مؤسسة الرسالة ناشرون ، دمشق ، ط 1 ، 2005 ، ص 58

مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك ، فلا تخل بشيء منها " ¹ .

فبعد القاهر الجرجاني لا يهتم باللفظة مفردة ، وإنما يعتبر أن الحسن القولي في وحدة الكلام ، أي في مجموع أجزائه المترابطة التي لا يقوم جزء منها بمعزل عن الأجزاء الباقية ² ، و ذلك " بتوخي معاني النحو ، وأحكامه ووجوهه و فروقه فيما بين معاني الكلم" ³ .

فالنظم إذن هو استعمال خاص للغة وهو أساس الشعرية عند عبد القاهر الجرجاني ، ومن هنا فهو يميز بين اللغة المعيارية التي تمنح المعنى ، واللغة الشعرية التي تمنح معنى المعنى ، والتي تقوم على الانحراف أو الاستعمال الخاص للغة ⁴ .

إن ما أقر به عبد القاهر الجرجاني من خلال نظرية النظم شبيهه بما توصل إليه النقاد الغربيون بعد قرون من تفصيهم للشعرية ، فقد أكد فاليري أن لغة الشعر انحراف عن التعبير المباشر ⁵ ، و يرى ريفاتير بأن لغة الشعر تختلف عن الاستعمال اللغوي المشترك ⁶ ، ثم إن رومان جاكوبسون يرى بأن الشعرية تدرس منحي أسلوبيا من خلال محورين هما : محور الاختيار و محور التأليف ، أي اختيار إحدى المفردات المتاحة ، وإسنادها إلى مفردة أخرى من مجموعة أخرى ، أما التأليف وهو القدرة على إنتاج الجملة ، والشعرية عنده لا تتحدد إلا بإسقاط مبدأ التماثل من محور الاختيار على محور التأليف ⁷ .

1 عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 76

2 ينظر : عبد الحميد آدم ثويني : منهج النقد الأدبي عند العرب ، ص 147

3 عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ص 383

4 ينظر : طراد الكبيسي : في الشعرية العربية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004 ، ص 70

5 ينظر : أحمد مطلوب ، في المصطلح النقدي ، ص 168

6 ينظر : عز الدين المناصرة ، علم الشعرية ، ص 9

7 ينظر : بشير تاوريريت : رحيق الشعرية الحدائنية ، مطبعة مزوار ، 2006 ، ص 57

فالشعرية هي أبرز خصيصة يقوم عليها الخطاب الأدبي سواء أكان شعرا
أم نثرا فهي ما تجعل العمل الأدبي أثرا فنيا ، وهذا ما انفق عليه في النقد العربي
و كذا الغربي .

3 - مفهوم الرؤيا الشعرية :

أ- في الفكر الفلسفي :

استخدم الفلاسفة العرب مصطلح التخيل ، وجعلوه عنصرا جوهريا في تحديد مفهوم الشعر ، حتى يظل محتفظا بصفة الشعرية ، فلا يكفي للشعر أن يكون كلاما موزونا ، بل لابد أن يكون كلاما موزونا مخيلا ، وذلك بأن يعتمد على المحاكاة بوصفها عنصرا أصيلا في الشعر¹ ، فالشعرية عندهم تتحدد بكون الكلام مخيلا ، والطريق إلى التخيل يكون عبر المحاكاة² ، فالأقوييل الشعرية كما يعرفها الفارابي (ت : 339 هـ) : " هي التي شأنها أن تؤلف من أشياء محاكية للأمر الذي فيه القول ... ، ويلتمس بالقول المؤلف مما يحاكي الشيء تخييل ذلك الشيء " ³ ، فالمحاكاة هي أساس الشعر عند الفارابي .

وهذا لا يعني أن تكون المحاكاة مطابقة الواقع العيني ، كأن يعيد المبدع تشكيل الواقع كما هو بالفعل ، إنما ينبغي عليه أن يتجاوز الواقع والنقلد الحرفي بالأصل المحاكي ، وهو ما يؤكد ابن سينا (ت : 428 هـ) : " المحاكاة هي إيراد الشيء ، وليس هو ، فذلك كما يحاكي بعضهم بعضا ويحاكون غيرهم " ⁴ ، وابن سينا هو أول من وصف الشعر بأنه كلام مخيل ، ذلك أن الفارابي في رسالته عن قوانين صناعة الشعراء لم يتعرض لهذا الأمر ، يقول ابن سينا في حده للشعر ، " ونحن نقول أولا إن الشعر هو كلام مخيل " ⁵ .

1 ينظر : عبد القادر هني : نظرية الابداع في النقد العربي القديم ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1999 ، ص 50

2 ينظر : زياد صالح الزعبي ، المتلقي عند حازم القرطاجني ، مجلة الجامعة الإسلامية ، 2001 ، م 9 ، ع 1 ، ص 344

3 الأخضر جمعي : نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين ، ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر ، 1999 ، ص 29

4 عبد القادر هني : نظرية الابداع في النقد العربي القديم ، ص 51

5 سعد مصلوح : حازم القرطاجني ونظرية المحاكاة والتخييل في الشعر ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1980 ، ص 100 ،

والكلام المخيل عنده هو : " الكلام الذي تدعن له النفس فتتسبط عن أمور وتتنقبض عن أمور من غير روية أو فكر واختيار " ¹ .

وها هو ابن رشد (ت : 520 هـ) يتفق مع ابن سينا ، إذ يعتبر جوهر الشعرية في خاصية التخيل ، يقول : " الأقاويل الشعرية هي الأقاويل المخيلة " ² .

وانطلاقاً من عنصر التخيل فرق الفلاسفة بين الأقاويل البرهانية والأقاويل الشعرية ، بوصفها أقاويل كاذبة ، وهذا الكذب ليس صفة سلبية في الشعر ، يقول الفارابي : " يكون من الخطأ الفادح أن نجعل كلمة كذب تهوينا من شأن الشعر ... فالمحاكي للشيء فليس يوهم النقيض ، لكن الشبيه ، ويوجد نظير ذلك في الحس " ³ .

ومن هنا تعطى الحرية كاملة للشاعر في تعامله مع مادته وذلك باعتماده على عنصر الخيال ، فيبدع صورة جديدة عن الواقع ، إذ يشكل الخيال نصاً هو رؤياً للواقع ⁴ .

فالرؤيا تتطلب عنصراً مهماً في تشكيلها وهو عنصر الخيال ، وهو ما أولاه المتصوفة مكانة عالية ، وعلى رأسهم الفيلسوف الصوفي ابن عربي (ت : 638 هـ) ، إذ يعده أعلى مرتبة من مراتب الشعور ، فمن خلاله يتم الوصول إلى مرتبة الرؤيا الصادقة ، حيث يتم الانفصال عن العالم لاكتشافه من جديد ⁵ .

هذا وقد تحدث المتصوفة عن كيفية التعبير عن الرؤيا في إطار حديثهم عن قضية المعنى ، فنجد النفري (ت : 354 هـ) يدعو إلى ضرورة إعادة النظر في مفهوم المعنى ، فهو مفهوم جامد في النقد القديم ، فالمعنى الحقيقي هو

1 رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 1998 ، ص 36

2 الأخضر جمعي : نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين ، ص 32

3 المرجع السابق ، ص 30

4 ينظر : وضحى يونس : القضايا النقدية في النثر الصوفي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب - دمشق ، 2006 ، ص 62 ،

5 ينظر : المرجع السابق ، ص 71

الذي يصل إلى الكشف عن طريق عبارات ضيقة ، " فكلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة " ¹ .

إن حديث الفلاسفة المسلمين عن : التخيل والمحاكاة والخيال والرؤيا ، وعدها عناصر جوهرية في صياغة نظرية شعرية ، جاء نتيجة المؤثرات الثقافية المتنوعة ، خاصة اليونانية من خلال كتاب " فن الشعر " لأرسطو ، وكذا من خلال فهمهم للشعر العربي ونقائده الجمالية وكذا بالنظرية العربية النقدية والبلاغية .

1 صلاح فضل : أساليب الشعرية المعاصرة ، ص 236

ب - في الفكر النقدي والبلاغي :

إن ذلك التصور الذي قدمه الفلاسفة ، بعدّهم التخيل عنصرا مهما في قيام الشعرية لا يخرج عن القناعات النقدية والبلاغية التي شكلت الفهم العربي للظاهرة الأدبية عامة وللشعر خاصة¹، فلو بحثنا في التراث النقدي والبلاغي لوجدنا أن عنصر الرؤيا من العناصر الهامة التي قامت عليها الشعرية العربية .

ويتضح ذلك بشكل جلي مع الناقد عبد القاهر الجرجاني (ت : 471 هـ) الذي استعمل مصطلح التخيل استعمالا واعيا ، إذ قسم المعاني إلى قسم عقلي وقسم تخييلي ، فأما القسم العقلي فهو : " معنى صريح محض يشهد له العقل بالصحة ، ويعطيه من نفسه أكرم النسبة ، وتتفق العقلاء عليه ، أما القسم التخيلي : " فهو ما يثبت فيه الشاعر أمرا هو غير ثابت أصلا ، ويدعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها ، ويقول قولا يخدم فيه نفسه ، ويربها مالا ترى " ².

لذا فقد أمعن في الحديث عن التخيل في الشعر مبينا كيفية تجلياته في الصور والأخذ به ، والحكم بموجبه ، في كل جيل وأمة ³ ، البيانية المكونة للخطاب الشعري ، رابطا كل ذلك بعمق التأثير في المتلقي ، " فالقصد أن يخرج السامعين إلى التعجب لرؤية ما لم يروه قط ، ولم تجر العادة به ولم يتم للتعجب معناه الذي عناه ولا تظهر صورته على وصفها الخاص ، حتى يجتري على الدعوى جراءة من لا يتوقف ولا يخشى إنكار منكر ، ولا يحفل بتكذيب الظاهر له " ⁴.

كما نجد مصطلح التخيل من أكثر المصطلحات التي أولاها حازم القرطاجني (ت : 684 هـ) اهتماما كبيرا ، فالتخيل هو قوام المعاني الشعرية

1 ينظر: الأخضر جمعي : نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين ، ص 36

2 المرجع السابق ، ص 204

3 ينظر عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة ، تحقيق : محمد الفاضلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 ، ص 197

4 المصدر السابق ، ص 226

في حين أن الإقناع هو قوام المعاني الخطابية¹ ، لذا فهو يعده أحد الخصائص الفنية التي تقوم عليها الشعرية فهو المعتبر في صناعة الشعر² ، إذ " يؤكد أن جوهر الشعرية يكمن في ركيزتين أساسيتين هما : التخيل والتأليف المتفق ، فمن هاتين العلتين تتولد الشعرية ، وتصبح العناصر الأخرى من الدعامات التي تسمو بالشعرية إلى أقصى درجات الإبداع ، وكأنه يزعم أن غياب إحدى الركيزتين من العمل الأدبي يغيب شعرية ، فبدونهما لا يوجد شعر ولا تتجلى شعرية"³.

لقد استفاد القرطاجني من طروحات الفلاسفة في تعريفه للشعر على أنه : " كلام مخيل موزون ، مختص في لسان العرب بزيادة التقفية إلى ذلك ، والتثامه من مقدمات مخيلة ، صادقة كانت أو كاذبة ، لا يشترط فيها - بما هي شعر - غير التخيل "⁴ فكان في تعريفه هذا على اتفاق كبير مع الفارابي وابن سينا اللذين يشترطان التخيل كعنصر مهم في الشعر .

والتخيل عند القرطاجني هو : " أن تتمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه ، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخليها وتصورها ، أو تصور شيء آخر بها انفعالا من غير رؤية إلى جهة الانبساط أو الانقباض "⁵ ، فالتخيل عنده يقوم على وسائل هي الألفاظ والمعاني والأسلوب والنظام ، وهو مرتبط بالجانب النفسي لدى المتلقي .

إن مصطلح التخيل هو المهيمن عند القرطاجني ، إلا أن هناك مصطلحات أخرى تتداخل معه ، وأهمها مصطلح المحاكاة ، " فما كان من الأقاويل القياسية مبنيا على تخيل وموجودة فيه المحاكاة فهو يعد قولا شعريا "⁶.

1 ينظر : سامية الدريدي : الحجاج في الشعر العربي القديم ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ط1 ، 2008 ، ص 65

2 ينظر : طراد الكبيسي : في الشعرية العربية ، ص 76

3 محمد صلاح زكي أبو حميدة : دراسات في النقد الأدبي الحديث ، جامعة الأزهر - غزة ، 2006 ، ص 16

4 الأخضر جمعي : نظرية الشعر عند الفلاسفة الإسلاميين ، ص 40

5 زياد صالح الزعبي : المتلقي عند حازم القرطاجني ، ص 346

6 محمد صلاح زكي أبو حميدة : دراسات في النقد الأدبي الحديث ، ص 19

فالتخييل مرتبط بالمحاكاة ، فهما عنصران يشترط كل منهما الآخر ، فالمحاكاة حد للأقوال الشعرية من حيث تشكيلها ، فهي تتصل بالمبدع باعتبار أنه يحاكي الأشياء التي قامت في نفسه ، ويصوغها في لغة فنية جمالية ، أما التخييل فهو حد للأقوال الشعرية من حيث تأثيرها في المتلقي ¹ .

وإذا بحثنا في التراث النقدي عند العرب عن أصول الرؤيا ، فإننا نجد ابن خلدون (ت : 808 هـ) قد تحدث عن الرؤيا في فصل من مقدمته يحمل عنوان " في علم تعبير الرؤيا " ، ويرى بأن الرؤيا مدرك من مدارك الغيب ² ، ولا تتحقق إلا بالخيال فهو الذي ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ، " ولذلك إذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ألقته إلى الخيال ، فيصوره بالصورة المناسبة له " ³ .

وإلى جانب الخيال يشترط ابن خلدون في التعبير عن الرؤيا ، أن تكون قوة التشبيه بين الصورة المحسوسة والصورة المدركة ، وهذه هي الرؤيا الحقيقية عنده ⁴ .

إن حديث النقاد العرب القدامى عن التخييل والمحاكاة والرؤيا ، وعدّها عناصر هامة في قيام الشعرية ، انطلاقاً من عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني ، وكذا ابن خلدون يجعلنا نقر بوجود أصول للرؤيا الشعرية في الفكر النقدي والبلاغي كما هي بمفهومها المعاصر .

1 ينظر : زياد صالح الزعبي : المتلقي عند حازم القرطاجني ، ص 347

2 ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ضبط وشرح وتقديم : محمد الاسكندراني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2005 ، ص 439

3 ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص 440

4 ينظر : المصدر السابق ، ص 440

ج - عند الشعراء والنقاد الغربيين:

يعد مفهوم الرؤيا من المفاهيم الأساسية التي أولاها النقاد الغربيون اهتمامهم ، ودرسوها من ناحية علاقتها بالأدب ، فهذا نورثروب فراي Northrop Frye يجعلها مرادفاً للأدب أو المكون الموضوعي له ، فالأدب عنده هو : " حلم الإنسان وإسقاط تخيلي لرغباته ومخاوفه ، وأن الأعمال الأدبية إذا أخذت معا تؤلف رؤيا إجمالية " ¹ .

وقد تطور مفهوم الرؤيا الشعرية مع الحركة الرومانسية الإنجليزية خاصة مع : بليك و كولردج و وردزورث ، ويتفقون في أن الرؤيا تقوم على عنصر مهم جدا هو عنصر الخيال ² .

فبليك يؤكد على أهميته ويرى بأن قوة واحدة هي التي تصنع الشاعر وهي قوة الخيال ، أو ما يسميه " الرؤيا الإلهية " والخيال عنده خالق الحقيقة ، أما كولوردج فيقدم نظرية في الخيال ، ويرى بأنه أهم هبة يمنحها الشاعر ، ويرى وردزورث بأن الخيال ينبغي أن يكون في خدمة العالم الخارجي وأن يعترف به بمعنى كلي ³ .

إلى جانب الخيال نجد النقاد والشعراء الغربيين يربطون بين الرؤيا والحلم ، فالحلم : " وسيلة الدخول إلى الذات وبواطن الكون والأشياء اللامرئية ، بغية الوصول إلى العالم السري ، والمعرفة التي لا تتم إلا من خلال الرؤيا العميقة والشاملة " ⁴ .

وهذا ما أهل رامبو ليكون أبا للتيار السريالي ، فقد اعتمد الحلم واللاوعي في بناء شعره الذي ربط بينه وبين رؤيا المجهول ، فالشعر بالنسبة له ليس فنا أدبيا ، إنما هو رؤيا للمجهول " وإن فقدت الرؤيا وصولها

1 محمد عبد الرضا : الرؤيا الشعرية سفر في الخيال ، مقالة إلكترونية ، <http://www.geocities.com>

2 ينظر : رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر ، ص 278

3 ينظر : المرجع السابق ، ص 278 ، 279

4 محمد عبد الرضا : الرؤيا الشعرية سفر في الخيال

إلى المجهول فقدت كل معناها ، فهي رؤية على الأقل " ¹ ، أي أن الرؤيا لا يجب أن تعبر عن الواقع ، فما عبر عنه فهو رؤية ، وإنما يجب أن تتعداه إلى ما وراء الواقع و المجهول .

ويؤكد ألبيرس بأن الشعر تعبير عن عالم خفي بلغة سرية ، فهو بحث عن حقيقة خفية لا تصل إليها العلوم والمنطق ، وهو تعبير : " بواسطة اللغة البشرية عن انفعال أو حقيقة لم تخلق اللغة البشرية للتعبير عنه ، وبذلك يصبح الشعر مخاتلة ، تمردا ، نضالا ضد اللغة " ² .

إلى جانب هؤلاء النقاد نجد ناقدا آخر كان له دور فعال في الربط بين الشعر والرؤيا ، وهو الناقد الإنجليزي توماس إليوت Thomas Stearns Eliot ، الذي يقر بأنه لا يستطيع أن يحدد الشعر لأنه أنواع عديدة ، ويخدم أهدافا كثيرة ، وأن التعريفات التي أطلقت على الشعر في حقبات مختلفة ومن قبل مدارس متعددة هي تعريفات ناقصة ، لذا يقر باستقلالية القصيدة ، فهي " تملك حياتها الخاصة ، وإن أجزاءها تشكل شيئا ما مختلفا عن مجموعة معلومات مرتبة بأناقة تتعلق بحياة الكاتب ، وإن الشعور أو العاطفة أو الرؤيا الناتجة عن القصيدة هي شيء مختلف عن الشعور أو العاطفة أو الرؤيا في ذهن الشاعر " ³ .

ويرى إليوت أن وظيفة الشعر هي أن يجسد فلسفة الحياة لا كنظرية ، بل كرؤيا ، فههدف الشاعر هو : " أن يقدم رؤيا ، ولا يمكن أن تكون رؤياه في الحياة مكتملة إذا لم تتضمن تشكيلا تعبيريا عن الحياة يصنعه الذهن الإنساني " ⁴ .

1 بشير تاوريريت : استراتيجيات الشعرية والرؤيا الشعرية عند أدونيس ، دار الفجر للطباعة والنشر ، قسنطينة ، ط1 ، 2006

2 رمضان الصباغ : في نقد الشعر العربي المعاصر ، ص 55

3 عاطف فضول : النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، 2000 ، ص

81

4 المرجع السابق ص 82

ولكي يكون الشعر مثاليا عند إليوت ، فلا بد من " محاولة لتوسيع حدود الوعي الإنساني وللإخبار عن أشياء مجهولة وللتعبير عما لا يعبر عنه " ¹ ، وإليوت هنا يلمح إلى عنصر النبوءة في الشعر ، فمن خلالها يمكن للشاعر أن يخبر عن أشياء مجهولة ، وأن يعبر عن ما لم يعبر عنه " والعنصر النبوي في الشعر هو غالبا لا واع في الشاعر نفسه ، ويمكن أن يمارس الشاعر النبوءة دون أن يعرف ذلك " ² .

ويمكن القول بأن رواد المنهج البنوي التكويني خاصة لوسيان غولدمان Lucien Goldman ، وإن كانوا قد حدوا وضيّقوا في مفهوم الرؤيا حين طرحوا مفهوم " رؤية العالم " والتي تقضي بضرورة التلازم بين الأعمال الأدبية من ناحية والبنى الاجتماعية من ناحية أخرى ³ ، إلا أنهم قد طرحوا مفهوما آخر ، اتضحت معه معالم الرؤيا وهو " الوعي الممكن " ، الذي ينطلق من تجاوز الراهن والمعيش واليومي ، ويستشرف المستقبل وتطلعات المجتمع فيه بإرادة تغيير ما هو واقع وقائم ⁴ .

وهذا هو لب ما دعت له الواقعية الاشتراكية التي استمدت تعاليمها من الماركسية ، إذ تهدف إلى الكشف عن الواقع الأنّي وتجاوزه لاستشراف المستقبل ، أي أنها مع دعوتها لإظهار الحاضر ، وبلورة معانيه تسعى إلى المستقبل والكشف عن الآفاق العظيمة لبناء العالم الجديد ⁵ .

1 عاطف فضول : النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس ، ص 82

2 المرجع السابق ، ص 83

3 ينظر : صلاح فضل : مناهج النقد المعاصر إفريقيا الشرق ، بيروت- لبنان ، 2002 ، ص 41.

4 ينظر : بحري محمد الأمين : رؤية العالم في ثلاثية أحلام مستغانمي الروائية ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير ، مخطوط جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2004/2003 ، ص 195

5 ينظر : خليل أبو جهج : الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد، دار الفكر اللبناني، بيروت ، ط 1 ، 1995 ، ص 192

د - عند الشعراء والنقاد العرب :

لقد أقر العديد من النقاد العرب في العصر الحديث وجود الرؤيا ، لكنهم اختلفوا في تحديدها ، ومدى أهميتها في النص الشعري ، وامتازت بعض الآراء النقدية بالسرعة والطابع العام إذ لم تشر إلى الرؤيا كمصطلح ، إنما نراها تشير إلى كون الشاعر خيالا ، قادرا على خلق عوالم جديدة ، وله عبقرية تجعله يرى ما لا يرى ويسمع ما لا يسمع ، وأنه قادر على الانفلات من أطر الزمان والمكان ، وتخطيط حياة جديدة ورسم مثل عليا¹.

و يرى أدونيس أن الرؤيا بطبيعتها قفزة خارج المفهومات السائدة ، إنها " تغيير في نظام الأشياء وفي نظام النظر إليها " ² ، أي أن الرؤيا تمتلك خاصيتي التغير والتمرد على الأشكال والطرق القديمة ، وهو ما ذهب إليه محمد جمال باروت في إعطائه مفهوما للرؤيا ، فهي عنده لا تعدو أن تكون " تغييرا لنظام الأشياء ، وقفزا خارج منطقتها ... ، لأن الرؤيا هي تحويل لعلاقات الأشياء ، ومن هنا كانت الرؤيا خروجا عن الأشكال الفنية المألوفة ... ، إن الرؤيا هي تمرد على سلطان النموذجية الفنية الموروثة ، ودخول في أشكال غير معروفة " ³.

وإذا كانت الرؤيا تتطلق من الواقع والظاهر فإنها تتجاوز به إلى المستقبل والكشف والخلق ، وهذا ما أقره خليل حاوي ، إذ يعرف الرؤيا الشعرية على أنها : " نوع من المعرفة التي تتخطى نطاق العلم المحدود بالظاهر المحسوس وتتألف الفلسفة ، وتتغلب عليها في مجال الكشف والخلق والبناء " ⁴ ، فالرؤيا الشعرية تجاوز للظاهر والمحسوس بل هي تطلع للكشف والخلق والبناء ومن ثم

¹ ينظر : خليل أبو جهج : الحداثة الشعرية العربية بين الإبداع والتنظير والنقد ، ص 195

² عاطف فضول : النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس ، ص 86

³ بشير تاوريريت : استراتيجية الشعرية والرؤيا الشعرية عند أدونيس ، ص 134

⁴ فاتح علاق : مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، ص 114

فإن الشعر عنده كشف يسبق العلم والفلسفة ، وهو أصل المعرفة التي تتفرع منها العلوم .

ويتفق أدونيس مع خليل حاوي في هذا الطرح ، فالرؤيا عنده : " تتجاوز الزمان والمكان ، أعني أن الرائي تتجلى له أشياء الغيب خارج الترتيب أو التسلسل الزمني وخارج المكان المحدود وامتداده " ¹ ، فالرؤيا إذن تتطلع إلى الغيب ، تسبح في فضاء لا محدود أين لا تحكمها حدود زمانية ولا مكانية .

ويتفق الناقد الجزائري إبراهيم رمانى مع أدونيس في موقفه هذا ، فهو يرى أن " الرؤيا تحمل هاجس الكشف عن عالم بريء حلمي ، بعيد يتوارى في زيف الوجود ، ووهم الواقع ، ولذلك فهي رؤيا مستقبلية تسافر دوما عبر الخيال والحلم إلى ما وراء الظاهر " ² ، أي أن الرؤيا تقوم بمهمة الكشف عن طريق الحلم والخيال إلى ما وراء الظاهر .

لم يتوقف النقاد والشعراء العرب في تحديدهم للرؤيا الشعرية عند عصري التمرد والتغيير ، بل ذهبوا لأكثر من ذلك حين ربطوا الرؤيا بعنصر الثورة ، ويرى غالي شكري بأن هذه الثورية " تقتحم السائد وتهاجم التخلف " ³ .

ويعد عز الدين إسماعيل الموقف الثوري موقفا مميزا لشعراء هذه المرحلة في تاريخنا الأدبي ، ويؤكد على أن دور الشعر والفن بعامة هو التغيير الثوري ⁴ .

1 فاتح علاق : مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، ص 114

2 محمد عبد الرضا : الرؤيا الشعرية سفر في الخيال

3 المرجع السابق ، ص 133

4 ينظر : أمجد ريان : صلاح فضل والشعرية العربية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2000 ،

إن حديث النقاد والشعراء العرب عن الشعر العربي الحديث وتحديده بـمميزات كالتجاوز والكشف والتمرد والثورة والحلم والخيال ... يجعل منه شعرا رؤياويا بالدرجة الأولى ينطلق من الواقع والمعيش ، لكنه يرفض التفوق فيه فيتجاوزه إلى المستقبل لاستشراف ما هو غيبي بغية الكشف عن عالم مجهول يظل بحاجة إلى الكشف .